دراسة في كتاب :

نهاية الرتبة في طلب الحسبة

لابن بسام المحتسب

إعداد الدكتورة
جلوس بنت فرج بن شتوي القحطاني
أستاذ الدراسات الإسلامية المساعد
قسم العلوم الإدارية والإنسانية
كلية الدراسات التطبيقية وخدمة المجتمع
جامعة الملك سعود

المقدمة

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونتوب إليه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً .

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ﴾ (١) .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ (٢) .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ (٣) .

أما بعد (٤) :

---

(١) الآية (١) من سورة النساء .

(٢) الآية (١٠٢) من سورة آل عمران .

(٣) الآية (١٨) من سورة الحشر .

(٤) خطبة الحاجة : " التي كان الرسول ﷺ يعلمها أصحابه " ، أخرجها أبي ماجه بهذا اللفظ في كتاب النكاح ، باب خطبة النكاح ، ح (١٨٩٢) . انظر : سنن ابن ماجه ، ص : ٣٢٩ ، وبنحو هذا اللفظ أخرجها أبو داود في كتاب النكاح باب في خطبة النكاح ، ح (٢١١٨) ، انظر سنن أبي داود ، ص : ٣٢١، =

فإن الله لما خلق الخلق لم يخلقهم عبثاً ، قال عز وجل : ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ ﴾[1] ، بل خلقهم لعبادته وطاعته والتزام منهجه ، قال تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِي ﴾[2] .

ولم يترکهم سبحانه هملاً يتيهون في البحث عن كيفية القيام بالعبادة بل أرسل الرسل لتعليمهم ، ووضعهم على المنهج الصحيح ولاستمرار هذا المنهج بين الناس بعد الرسل لابد من التآمر بينهم بكل معروف والنهي عن كل منكر ولتطبيق هذا المبدأ لابد من نظام الحسبة إذ هو الوجه العملي التطبيقي للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، لذا كان لابد أن يقف المحتسب وقفة الصحح الدال على كل خبير الآمر بكل معروف الناهي عن كل منكر ، وهذه الوقفة من المحتسب كانت تحتاج إلى من يضع لها الضوابط وينظر له عمله . حتى يحسن العمل ويتجنب الزلل ، من هنا جاءت الحاجة إلى التأليف حول فقه الحسبة .

=وأخرجها الإمام الترمذي في كتاب النكاح باب ما جاء في خطبة النكاح ، (١١٠٥) انظر سنن الترمذي ، الجامع الصحيح ، ص : ٢٦١ ، والنسائي في كتاب الجمعة ، باب كيفية الخطبة ، ح (١٤٠٤) ، انظر : سنن النسائي ، ص ك ٢٣٠ ، وقد جمع أحاديثها وتتبع طرقها وأثبت صحتها الشيخ العلامة محمد بن ناصر الدين الألباني – رحمه الله – في رسالته خطبة الحاجة التي كان رسول الله – ﷺ – يعلمها أصحابه ، ص : ١٥–٤٣ ، كما ذكرالحكم بصحتها في نفس الصفحات التي ذكرت بها الخطبة في السنن السابقة .

(١) الآية (١١٥) من سورة المؤمنون .

(٢) الآية (٥٦) من سورة الذاريات .

لذا فنظام الحسبة من حيث التأليف والتنظير قد حظي ومنذ القرون الأولى ببعض الاهتمام من قبل الفقهاء والكتاب المسلمين الذين حاولوا وضع ضوابط العمل المحتسب وشروطه وتحديد الأطر التي يجري عليها احتسابه فخرجت عدة مؤلفات في الحسبة .

وأول المؤلفات التي كتب فيها عن الحسبة كانت في نهاية القرن الثالث الهجري .

والحقيقة أن الذين كتبوا عن الحسبة كانوا على صنفين :

الصنف الأول : الذين نحو منحى التقنين الفقهي النظري لقوانين الحسبة وما ينبغي أن يكون عليه القائم بهذا العمل ومن هؤلاء مثلاً " الماوردي " في كتابة "الأحكام السلطانية" وإن لم يكن الكتاب كله في الحسبة بل الحسبه باب من أبوابه العشرين .

أما الصنف الثاني الذين جعلوا منهجهم في مؤلفاتهم منهجاً عملياً تطبيقياً بحيث يستعرض الواحد منهم مختلف الحِرَف والصناعات ويبين طريقة وغش وتدليس أهلها ضمن أبرز هؤلاء : محمد بن أحمد بن بسام المحتسب في كتابه " نهاية الرتبة في طلب الحسبة " .

وهو موضوع دراسة هذا البحث ومكون من تسع مطالب :

المطلب الأول : تعريف المصنف وعرض موجز لعصره .

المطلب الثاني : التعريف بالمحقق .

المطلب الثالث : الخدمة العلمية للكتاب .

المطلب الرابع : التعريف بالطبعة المختارة للدراسة .

المطلب الخامس : المدرسة الفقهية للمؤلف ومنهجه العلمي .

المطلب السادس : تقسيمات الكتاب عند المؤلف .

المطلب السابع : تقسيمات الكتاب بعد التحقيق .

المطلب الثامن : القضايا البارزة في هذا الكتاب والتميز الذي تميز به .

المطلب التاسع : التقويم العلمي للكتاب .

المطلب الأول

تعريف المصنف[1]

الفرع الأول :

أ – نسبه و حياته :

هو الأديب الحافظ شمس الدين محمد بن الشيخ شهاب الدين أحمد المعروف بابن بسام المحتسب التنيسي[2].

والمصنف رحمه الله ولد في مصر لكن لم يتوصل إلى سنة ولادته ، وعاش في مدينة تنيس ، وهي إحدى المدن المصرية الكبرى في العصر الإسلامي كانت تقوم على جزيرة في الشمال الشرقي من البحيرة ، التي كانت تحمل اسمها في العصور الوسطى " بحيرة تنيس " وهي المعروفة الآن ببحيرة المنزلة[3].

---

(١) ذكر المحقق حسام الدين السامرائي أن المصنف مجهول لا يعرف له نسب أو مدينة أو مؤلفاته ، وحتى عصره ، وقد بذل الأب لويس شيخو جهوداً كبيرة للعثور على ترجمة مفصلة أو موجزة لهذا المؤلف لكن دون جدوى ، ولكن الباحثه بذلك مجهود لتّتعرف على اسمه ومدينته التي عاش فيها وعصره من عدم مصادر وا ستنتاج ذلك .

(٢) ذكر ذلك صاحب كتاب " فوائد الموائد " وهي مخطوطة موجودة في دار الكتب المصرية بالقاهرة تحت رقم ١٨٥٢ أدب ، وتقع في (٨٥) ، انظر : الجزء السادس من الفهارس الجديدة لدار الكتب المصرية ن ص : ٤٧ .

(٣) عُرف أنه مصري وذلك من خلال تقديمه ذكر موازين مصر وذكر أيضاً أن الأوقية في مصر تساوي اثني عشر درهماً ، كما ذكر القناطير التي تنقش بالعربية والقبطية وكل ذلك مذكور في كتابه نهاية الرتبة .

و كانت تنيس ثغراً من أهم ثغور مصر الشمالية ومركزاً من أهم مراكز صناعة النسيج في العصور الإسلامية ، وقد أسهب المؤرخون والجغرافيون والبلدنيون والرحاله القول في وصفها والإشادة بموقعها البحري والحربي وبمكانتها الصناعية الاقتصادية[1] ، و كانت من المدن الجليله التي يصنع بها كسوة الكعبة[2] .

و كانت حالته المادية ميسوره فقد كان يملك مصنعاً من أكبر مصانع مدينته وقد أشار إليه في كتابه "أنيس الجليس".

ب – عصره :

اختلف في عصر المصنف " ابن بسام " فقد ذكر ، لويس شيخو[3] أنه عاش في القرن الثامن الهجري .

---

(١) انظر : " أنيس الجليس في تاريخ مدينة تنيس " ، ص : ٢٢ ، محمد بن أحمد بن بسام المحتسب التنسي ، تحقيق د. جمال الدين التيتيل ، مكتبة الثقافة ، ط١ ، ١٤٢٠هـ .

(٢) انظر : الخطط (٣٩٢/١) للمقرزي .

(٣) هو : رزق الله بن يوسف بن عبدالمسيح بن يعقوب بن شيخو البيسوعي ولد في ماريديس بالجزيرة الفراتية عام ١٢٧٥هـ . و سمي بـ " لويس " وانصرف إلى تعليم الآداب العربية في كلية القديس " يوسف "ثم أنشأ مجلة " المشرق " سنة ١٨٩٨م ، وطفق يكتب أكثر مقالاتها بقلمه مدة خمس وعشرين سنة بهمه ونشاط ، وألف جمعاً من الكتب التاريخية والأدبية واللغوية ونشر كثيراً من المخطوطات في هذه الفنون نفسها و كانت وفاته في بيروت سنة ١٣٤٦هـ ، ومن أشهر مؤلفاته : شعراء النصرانية في الجاهلية ، الأحكام العقلية في المدارس العلمية اللادنييه ، أسباب الطرب في نوادر العرب .
انظر : الأعلام ٢٤٦/٥ لخير الدين الزركلي ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط٦ ، ١٩٨٤م .

لأنه أثبت أن ابن بسام نقل كتاب الشيرزي[1] في الحسبة الذي يحمل نفس العنوان وأضاف إليه أبواباً جديدة ، والشيرزي عاش كما هو ثابت من ترجمته في أواخر القرن السادس الهجري .

وذكر محقق كتاب " أنيس الجليس " أن ابن بسام عاش في أواخر القرن السادس الهجري أو أوائل القرن السابع وذلك أن مؤلف كتاب " معجم البلدان " أخذ كثير من معلومات كتاب أنيس الجليس وخاصة تلك المتعلقة بأسماء الطيور والأسماك الموجودة في تنس فانهما تكادان تكونان شيئاً واحداً ومما يلفت النظر أن مؤلف كتاب " معجم البلدان " نصّ على أنه نقل القائمة المشتملة على أسماء الطيور من كتاب "تاريخ أنيس " وإن كان لم يفصح عن اسم مؤلفه (أي أن ابن بسام عاش قبل سنة ٦٢٦ هـ وهي السنة التي توفي فيها صاحب "معجم البلدان)"[2] .

والجمع بين القولين نخرج من أن ابن بسام عاش في أواخر القرن السابع وأوائل القرن الثامن وخاصة أنه في هذا الوقت قام بالحسبة في

---

(١) هو : جلال الدين أبو النجيب أبو الفضائل عبدالرحمن بن نصر بن عبدالله الشيرزي كان معاصر للسلطان الملك الناصر صلاح الدين الأيوبي ، و كان من مؤلفاته " نهاية الرتبة في طلب الحسبة " ولعله وضع هذا الكتاب بناءً على طلب صلاح الدين من طريق غير باشر ، لمساعدة الحكومة الأيوبية في مراقبة أرباب الحرف والصنائع ، و كتاب " المنهج المسلوك في سياسة الملوك " و " الإيضاح في أسرار النكاح " ، و " خلاصة الكلام في تأويل الأحلام " توفي سنة ٥٨٩هـ .
انظر : هداية العارفين (٥٢٨/١) ، للبغدادي ، معجم المؤلفين (١٩٧/٥) لرضا كحالة ، طبعة دار إحياء الكتب (د. ط. ت) .

(٢) انظر : مقدمة أنيس الجليس في أخبار تنيس ، ص : ٢٣ .

عصره. حيث إنه كان يقول " في أيام حسبتنا " ، و كثير ما يذكر ذلك في مطاوي هذا الكتاب.

أي عاش في أواخر الدولة الأيوبية وبداية قيام دولة المماليك ، حيث إن مدينة تنيس وهي التي عاش فيها المؤلف هدمت بأمر الملك الكامل محمد وهو آخر ملوك الدولة الأيوبية حتى لا ينزل بها الصليبيون وبذلك زالت المدينة من الوجود ، وعندما قام المؤلف بالحسبة كان ذلك في بداية عصر المماليك.

جـ – وفاته :

لم يُذكر للمؤلف تاريخ وفاة إلا أنها ربما كانت في نهاية النصف الأول من القرن الثامن والله أعلم.

د – مؤلفاته :

(١) كتاب " نهاية الرتبة في طلب الحسبة " ، وهو موضوع هذه الدراسة التي بين ايدينا ، تحقيق : حسام الدين السامرائي ، وتحدث فيه عن الحسبة في عدد من الأبواب إذ أنه احتوى على (١١٨) باباً كل باب في موضوع خاص كما سيأتي ذكرهم فيما يأتي إن شاء الله.

(٢) كتاب " أنيس الجليس في أخبار تنيس " ، تحقيق وتقديم الدكتور: جمال الدين الشبال ، الناشر مكتبة الثقافة الدينية ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٠هـ ، وما توصل إليه من هذه المخطوطة سوى عشر صفحات فقط. ومع هذا تتضمن معلومات قيمة ونادرة لم

تذكرها المراجع الأخرى التي كتبت عن تنيس ، ففيها وصف تفصيلي دقيق لخطط المدينة ومبانيها وأسوارها وأبوابها ودار الحكومة بها وفنادقها ومساجدها ومصانعها والواضح أنها المدينة التي عاش فيها المصنف – رحمه الله – .

هذا ماتُوصل إليه من مؤلفات " ابن بسام " رحمه الله والواقع أنه لا يوجد غيرها ، – والله أعلم – .

كما أن هناك كتاب " الذخيرة " لابن بسام " لكن بعد البحث عرفت الباحثة أنه لابن بسام الأديب الأندلسي وليس لابن بسام المحتسب التنسي .

الفرع الثاني : عرض موجز لوقائع عصر المؤلف :

كما أسلفت سابقاً أن ابن بسام عاش في نهاية الدولة الأيوبية التي كانت دولة فتح وجهاد من مبدئها إلى منتهاها .

وقد تصدت للحملات الصليبية الشرسة التي أرهقت الدولة الإسلامية .

فكانت الدولة الأيوبية هي الحصن المنيع ضد هذه الهجمات وفي عهد الكامل بن محمد تقدمت مصر " وهي التي عاش فيها مؤلفنا " كثيراً بفضل ما قام به من الأعمال لإصلاح الرأي وتحسين حال الزراعة وأسس كثير من المعاهد العلمية .

ولكنه فرط في مقدسات المسلمين حفاظاً على ملكه ، وبذلك انتهت الدولة الأيوبية وقامت على أنقاضها دولة المماليك التي أصبح مقرها مصر ، وكان أول سلاطينها هو السلطان عز الدين أيبك

التركماني وفي عهد المماليك وقعت النكبة العظمى للدولة الإسلامية وهي سقوط بغداد في يد التتار وزوال الخلافة كما أن النصارى أصبح لهم صوله وجولة في دمشق وعاثوا في الأرض فساداً.

فعقد المماليك على حرب التتار فوقعت المعركة الشهيرة "عين جالوت" التي انتصر فيها المسلمون فحرروا ديار الإسلام من التتار.

وفي عهد الناصر محمد بن قلاوون الذي تولى مصر زادت ثروة البلاد مما ساعد على ذلك أنه فرض ضريبة على جميع التجارة التي تمر بمصر، و كان الناصر يعتني بالشؤون الداخلية لبلاده فضبط الموازين والمقاييس، ومنع شرب الخمر، وتشدد في حفظ الآداب وفي ملته بلغ من المباني والنقوش الإسلامية أقصاه[1].

وبعد هذا الاستعراض تخرج الباحثه بنتيجة وهو أن المؤلف قد يكون عاش في أيام حسبته في عصر الناصر محمد بن قلاوون لأنه يظهر من كتاب المؤلف قوة المحتسب في ذلك الوقت، ودقة ضبطه للموازين والمقاييس وصلاحياته التي كان يتمتع بها، والناصر أهتم بأمور الحسبة كما ظهر لنا مما ساعد على قوة المحتسب وتطور الحسبة في ذلك الوقت.

الحسبة في عهد المماليك:

ازدادت واجبات المحتسب في هذا العصر عن ما كانت عليه في العصور التي سبقته وتعددت جوانبها مما استدعى ظهور كتب تعالج هذه الجوانب

(١) انظر: الموسوعة الميسرة في التاريخ الإسلام (١/٤٧٢-٤٨٣)، إعداد فريق البحوث الإسلامية تقديم د. راغب السرحاني، مؤسسة اقرأ، ط١، ١٤١٦هـ.

مثل :" معالم القربة في أحكام الحسبه " لابن الأخوة ، و كتاب " نهاية الرتبه في طلب الحسبه " لابن بسام و كان للحسبه أثر عظيم في عهد الظاهر بيبرس مما تسبب في إشاعة الأمن والطمأنينه بين أفراد المجتمع وقضت على كثير من المنكرات ، ففي عام (٦٢٢ هـ) نودي من قبل المحتسب في القاهرة ومصر بمنع النساء من لبس العمائم[١] ، وفي سنة (٦٦٥ هـ) أمر الملك الظاهر بيبرس البند قداري بإراقة الخمور ، ومنع البغاء في مصر والقاهرة ، فأغلقت الحانات التي كانت مخصصة لذلك ، وأمر بنفي القائمين بها وحبست النساء حتى تزوجن ، و كتب إلى جميع البلاد بمثل ذلك ، وفي ذلك الوقت أحضر إلى السلطان شخص يدعى ابن الكازورني وهو سكران فأمر بصلبه بعد حد عظيم ، وعلقت الجره والقدح في عنقه ، فلما رأى المستهترون والخلعاء والمجان ما أصابه كفوا عن فسادهم[٢] .

فكسدت سوق الفجور حتى ظهر ذلك لكل من زار مصر ، فقد كتب ابن دانيال رسالة يصف فيها ما رآه يقول : " قدمت من الموصل إلى الديار المصرية في الدولة الظاهرية – سقى الله من سحب الإنعام عهدها أو عذب مشارب وردها – فوجدت مواطن الفجور دراسة أرباب اللهو والخلاعة غير آنسه ومن لذه العيش آيسه وهزم أمر السلطان جيش الشيطان وتولى (الخوات) والي القاهرة إهراق الخمور وإحراق الحشيش وتبديد المزّر[٣] واستتابه المخنثين واللواطين ودجر البغاة والخواطي

(١) انظر : بدائع الزهور (٤٦/١) لابن إياس ، طبعة بولاق سنة ١٣١١هـ .
(٢) انظر : مقدمة معالم القربة في أحكام الحسبة ، ص : ١٨- ٢١ .
(٣) نوع من الشراب المحرم .

و شاعت بذلك الأخبار ، ووقع الإذ كار واختفى المسطول في الدار ، وقد آذى ا لخلاعة غاية الأذية و صلب ابن ا لكاروزني في رقبته نباذيه)[1] . وفي سنة (٧٥١ هـ) أ سرف النساء في عمل القم صان ا لجراره ذات الأ كمام الوا سعة وبلغت نفقة القميص ألف درهم ، فعهد السلطان حسن إلى الأمر (منجك) به كافحة اندفاعهن وراء هذه الأزياء فأمر بقطع أ كمام النساء ونودي في القا هرة بتحريم هذه الملابس والقبض على من تخالف [2] .

و كان الدافع لصدور مثل هذه الأوامر الغيرة إ سلامية و مسؤولية ا لحا كم المسلم في ا لمحافظة على كيان ا لمجتمع المسلم من أن تخلخله وتقوضه المنكرات والمعا صي والسلو كيات المنحرفة عن هدي الإ سلام حتى يبقى نظيفاً من الرذائل والفساد ، قائماً بأوامر الله سائراً على منهج الرسول – ﷺ – [3] .

من هذا الا ستعرا ض نصل إلى مدى قوة ا لحسبه وا لمحتسبين في ذلك الوقت الذي عاش فيه المؤلف "ابن بسام" .

---

(١) المصدر السابق ، ص : ١٩ .
(٢) انظر : ا لحسبه في الإ سلام ، ص : ١١٨ ، إبراهيم الد سوقي الشهاوي (د.ن. ط) .
(٣) انظر : ا لحسبة في الما ضي وا لحا ضر (٢/ ٥٦١)، د. علي بن حسن القريني ، م كتبة الر شد ، ط٢ ، ١٤٢٧هـ .

المطلب الثاني

التعريف بالمحقق

هو الأستاذ الدكتور : حسام الدين السامرائي ، ولد في سر من رأى من العراق عام ١٩٣٩م من أسرة شريفه النسب عرفت بالعلم والورع . أكمل دراسته الأولية في مسقط رأسه . التحق عام ١٩٥٤م بدار المعلمين العالمية – كلية التربية – قسم التاريخ ، وتخرج بدرجة الشرف الأولى .

أكمل دراسته العليا – الماجستير في معهد الدراسات العليا بجامعة بغداد تحت إشراف الأستاذ الدكتور عبدالعزيز الدوري .

ارتحل إلى لندن والتحق بجامعتها في مدرسة الدراسات الشرقية والأفريقية عام ١٩٦٦م حيث أنجز الدكتوراه بإشراف الإنجليزي البروفسور برنادلويس .

اشترك في عدد كبير من المؤتمرات والندوات العلمية منها مؤتمر التاريخ الاقتصادي في جامعة لندن ، ومؤتمرات التاريخ الدولي الأول ببغداد ، ومؤتمر الأدباء العرب الأول ببغداد .

عضو في لجنة الإدارة المالية في الإسلام في المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية ، وعضو في مشروع موسوعة الإدارة العربية الإسلامية في المنظمة العربية للعلوم الإدارية بجامعة الدول العربية .

تخرج على يديه مجموعة من الباحثين والمحققين ، وقد أشرف على عدد من طلاب الدراسات العليا للماجستير والدكتوراه في قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة أم القرى بمكة المكرمة في مواضيعه التاريخ والنظم الإسلامية وتحقيق التراث الإسلامي .

مؤلفاته :

١ – كتاب المؤسسات الإدارية في الدولة العباسية "تأليف".

٢ – هشام بن محمد الكلبي "تحقيق ودراسة".

٣ – كتاب "نهاية الرتبه في طلبة الحسبة" ، لابن بسام المحتسب تحقيق[(١)].

(١) انظر : المؤسسات الإدارية في الدولة العباسية ، ص : ٣٤٢ ، د. حسام الدين السامرائي ، قدم له د. عبدالعزيز الدوري ، دار الفكر العربي ، مكة ، ط٢ ، ١٤٠٣هـ.

المطلب الثالث

الخدمة العلمية للكتاب

عدد الطبعات، أماكن وجودها، أسماء دور النشر :

كتاب " نهاية الرتبة في طلب الحسبة " من الكتب النادرة فلا يوجد في المملكة إلا طبعة واحدة وهي موجودة في جامعة الملك سعود .

ثلاث نسخ موجودة في مكتبة الأمير سلمان .

نسختان موجودة في مكتبة مركز الدراسات الجامعية للطالبات .

نسختان موجودة في المكتبة المركزية للطالبات ، وهي الطبعة المختارة للدراسة .

كما أن هناك طبعة من دار الحداثة في لبنان ، تقديم الأستاذ : عبدالحميد فايد ، نشر دار الحداثة في بيروت ، إلا أن هذه النسخة لم توجد في مكتبات بيروت ، بل وجدت في مكتبه في طرابلس ، الطبعة الأولى عام ١٩٩٠م .

فقط وهو ما توصلت إليه الباحثه بعد عناء البحث والتنقيب .

المطلب الرابع
التعريف بالطبعة المختارة للدراسة

الطبعة المختارة للدراسة هي ما طبعت في مطبعة المعارف في بغداد عام ١٩٦٨م الذي حققه وعلق عليها حسام الدين السامرائي ، والتي بلغ صفحاتها (٢٢٥) صفحة ، وأما حجم الصفحة (٢٤×١٧) .

وقد اعتمد في تحقيق هذا الكتاب على مخطوطتين ، وعلى ما ذشره الأب لوس شيخو في مجلة المشرق ، واقدم المخطوطات هي مخطوطة استانبول ، مكتبة أحمد الثالث تحت رقم عمومي (٢٣٠٤) أدبيات (٢٠) ، وهي الأصل لنشر هذا الكتاب ، وعدد أوراق هذه المخطوطة (١٢٢) ورقة كتبت بخط نسخ جميل واضح وأبعاد ورقتها (١٧×١٢) سنتمتر ، وفي كل صفحة (٢١) سطر وفي الصفحة الأولى عنوان الكتاب وذصه " هذا كتاب نهاية الرتبة في طاب الحسبة " تأليف الإمام العلامة الفهامة محمد بن أحمد بن بسام المحتسب تغمده الله برحمته واسكنه فسيح جناته آمين ..

أما المخطوطة الأخرى فهي نسخة الخزانة التيمورية بدار الكتب المصرية بالقاهرة ، تحت رقم (٢٥) اجتماع وهي نسخة حديثة ، كتبها إسماعيل بن الشيخ الشاشي في ٥ ذي الحجة سنة ١٣٢١هـ كما هو مثبت في الصفحة الأخيرة ، وهي نسخة كاملة لم يسقط منها باباً

واحداً . إلا أنها مضطربة في الصفحات الأخيرة ، كما سقطت منها بعض الجمل والعبارات[1] .

(١) انظر : مقدمة كتاب نهاية الرتبه في طلب الحسبة .

المطلب الخامس

المدرسة الفقهية للمصنف ومنهجه العلمي

الفرع الأول : المدرسة الفقهية للمؤلف :

المؤلف على المذهب الشافعي الذي يعتمد في استنباطاته وطرائق استدلاله على الأصول التي وضعها الإمام الشافعي بشكل عام ولكن ليس بالضرورة أن تتوافق آراء المذهب الشافعي مع آراء محمد الشافعي نفسه .

الفرع الثاني : منهج المؤلف العلمي :

١ – لقد تكلم " ابن بسام" – رحمه الله – في كتابه هذا عن الاحتساب في جميع أنواع السلع وعن أصول العمل في التجارة والصناعات المختلفة ، ضارباً الأمثلة العلمية الموضحة ، لذلك مما يجعل كتابه هذا مثالاً في الدقة والوضوح .

٢ – عدم العناية بقضية ضبط وتوثيق النقل ، فنجد كتاب أبن بسام ، يحمل الاسم ذاته لكتاب " الشيزري " وجميع أبواب الشيزري وزاد عليه أبواب أخرى دون أن يذكر ابن بسام ذلك .

٣ – استشعار " ابن بسام " – رحمه الله – في قيامه للحسبه أخلاصه لله عز وجل فقد قام بالحسبة رغبة في إقامة شعائر الله سبحانه وتعالى .

٤ – أفراد كتابة هذا عن الحسبة دون إدراج أي موضوع شرعي آخر .

٥ – اهتمامه في مجال الحسبة من الناحية العملية بعكس كتب الحسبة الأخرى التي أهتمت بالناحية الفقهية .

٦ – استفادة المؤلف من خبرته وتجربته في هذا الميدان فقد ضمنها في ثنايا كتابه.

٧ – عدم استشهاده بآيات من القرآن الكريم أو أحاديث من السنة النبوية ما عاد ما استشهد به في الباب الأول فقط .

٨ – الدقة في الاحتساب ، وظهر هذا واضحاً في أحتسابه على الصيادله والعقاقير وفي الحجامة والتدليس في ذلك كثير لا يمكن حصر معرفته على التمام فرحم الله من نظر فيه ، وعرف استخراج غشوشة ذكتبها في حواشيه تقرباً إلى الله عز وجل فهي أضر على الخلق من غيرها لأن العقاقير ولأشربه مختلفة الطبائع والأفرجه والتداوي على فور أفرجتها فإذا أضيف إليها غيرها أحر منها عن مزاجها بالمريض لا متى له فالواجب على أولئك أن يراقبوا الله ، وينبغي للمحتسب أن يخوفهم ويعظمهم .

المطلب السادس

تقسيمات الكتاب عند المؤلف

احتوى الكتاب على مائة وثمانية عشر باباً كل منهم في موضوع مختص ، حيث جاء الباب الأول فيما يجب على المحتسب من شروط الحسبة ولزوم مستحباتها. وجاء الباب الذي يليه في النظر في الأسواق والطرقات .

الباب الثالث : في الخبازين .

الباب الرابع : في السقايين وغشهم .

الباب الخامس : في السوقة وغشهم .

الباب السادس : في جزارين الضأن والمعز والإبل ، والقصابين وغشهم .

الباب السابع : في الشوائين .

الباب الثامن : في الهرائسيين .

الباب التاسع : في الزلبانيين .

الباب العاشر : في الرواسين وغشهم .

الباب الحادي عشر : في الطباخين وغشهم .

الباب الثاني عشر : في الحلونيين وغشهم .

الباب الثالث عشر : في هرايس التمر ومطبوخ العدس .

الباب الرابع عشر : في الباقلانيين أي الفواليين .

الباب الخامس عشر : في السماكين والسمك .

الباب السادس عشر : في باعة الصير والبوري والملح .

الباب السابع عشر :" في قلائين السمك و سمك الطاجن .

الباب الثامن عشر : في صيادين الطيور والعصافير .

الباب التاسع عشر : في الطحانيين وغشهم .

الباب العشرون : في الفرانيين و صبيانهم .

الباب الحادي والعشرون : في الحطب والحطابين .

الباب الثاني والعشرون : في القصب واقصابين .

الباب الثالث والعشرون : في الجيس والجباسين .

الباب الرابع والعشرون : في الجير والجيارين .

الباب الخامس والعشرون : في الحمامات وذكر قوامها ومنافعها ومضارها وما يلزم حراسها والبلانين والمزينين والوقادين وباعة النورة .

الباب السادس والعشرون : في الغزالين والغزل .

الباب السابع والعشرون : في الكتانيين .

الباب الثامن والعشرون : في الحريريين .

الباب التاسع والعشرون : في القطانيين والندافين .

الباب الثلاثون : في القلانسيين وغشهم .

الباب الحادي والثلاثون : في الخياطة والخياطين وغشهم .

الباب الحادي والثلاثون : في الخياطة والخياطين وغشهم .

الباب الثاني والثلاثون : في سماسرة البز .

الباب الثالث والثلاثون : في البز والبزازين [1] .

الباب الرابع والثلاثون : في الغسالين .

الباب الخامس والثلاثون : في القصارة والقصارين .

الباب السادس والثلاثون : في المطرزين .

الباب السابع والثلاثون : في الرفائين وغشهم .

الباب الثامن والثلاثون : في الصيادلة والعقاقير .

الباب التاسع والثلاثون : في الأشربة المعالجين وما يضاف إلى ذلك .

الباب الأربعون : في العطر والعطارين .

الباب الحادي والأربعون : في الصيارف .

الباب الثاني والأربعون : في الصاغة والصياغة .

الباب الثالث والأربعون : في الأطباء والفصادين .

الباب الرابع والأربعون : في الكحالين والكحل .

الباب الخامس والأربعون : في المجبرين .

الباب السادس والأربعون : في الجرائحيين .

الباب السابع والأربعون : في البياطرة .

الباب الثامن والأربعون : في صباغة الحرير والغزل .

الباب التاسع والأربعون : في الخرازين صناع الشراك .

---

(١) البزُّ : الثياب ، وقيل : ضرب من الثياب ، وقيل : البَزُّ الثياب أمتعه البزَّار ، وقيل البز : متاع البيت ، والبزار : بَائع البز وحرفته البزارة . انظر : لسان العرب (٣١٢/٥) .

الباب الخمسون : في الأساكفة وصناع الاخفاف .

الباب الحادي والخمسون : في علم الاسفاط .

الباب الثاني والخمسون : في علم البطط .

الباب الثالث والخمسون : في الحناطين والعلافين .

الباب الرابع والخمسون : في صنعة الشرابات .

الباب الخامس والخمسون : في الحاكة والقزازين .

الباب السادس والخمسون : في الزنهار وغشه [1] .

الباب السابع والخمسون : في الابزار والابزاريين .

الباب الثامن والخمسون : في السماسم وبائعيه .

الباب التاسع والخمسون : في الخشب وباعته .

الباب الستون : في الزفاتين .

الباب الحادي والستون : في الحدادين .

الباب الثاني والستون : في المسامير وغشهم .

الباب الثالث والستون : في النحاسين وسباكين النحاس .

الباب الرابع والستون : في النجارين والبنائين والفعلة والنشارين .

الباب الخامس والستون : في نجارين الضبب .

الباب السادس والستون : في نجارين المراكب .

الباب السابع والستون : في النخاسين باعة العبيد .

الباب الثامن والستون : في النخاسين باعة الدواب .

---

(١) هو ما يبعيه العطار من التوابل وغير ذلك .

الباب التاسع والستون : في الطوابين وغشهم .
الباب السبعون : في دلالين العقارات .
الباب الحادي والسبعون : في تقديرات المراكب .
الباب الثاني والسبعون : في باعة الفخار .
الباب الثالث والسبعون : في شعابين البرام .
الباب الرابع والسبعون : في الزجاجين وغشهم .
الباب الخامس والسبعون : في معلمين الصبيان ومعلمات البنات .
الباب السادس والسبعون : في الدهانين وغشهم .
الباب السابع والسبعون : في المكارية .
الباب الثامن والسبعون : في النحاتين والمصولين في التراب .
الباب التاسع والسبعون : في كساحي السماد وحمالته .
الباب الثمانون : في الغرابيل ومناخل الشعر .
الباب الحادي والثمانون : في حافري القبور .
الباب الثاني والثمانون : في الوراقين والمبهرجين .
الباب الثالث والثمانون : في من يكتب الرسائل على الطريق والرقاع والدروج .
الباب الرابع والثمانون : في كتاب الشروط .
الباب الخامس والثمانون : في الوكلاء بأبواب القضاة وتدليسهم .
الباب السادس والثمانون : في الميازيب ومضرتها .
الباب السابع والثمانون : في اصلاح الجوامع والمساجد .

الباب الثامن والثمانون : في قراءة القرآن قدام الموتى .

الباب التاسع والثمانون : في غسالين الموتى ، نفع الله بهم .

الباب التسعون : في المراصد والمراقب .

الباب الحادي والتسعون : في طباخين الولائم .

الباب الثاني والتسعون : في معرفة الموازين .

الباب الثالث والتسعون : في معرفة المكاييل .

الباب الرابع والتسعون : في معرفة الذهب وصنج الفضة .

الباب الخامس والتسعون : في معرفة الارطال والقناطير .

الباب السادس والتسعون : في معرفة الأقساط .

الباب السابع والتسعون : في معاصر الزيت وغشهم .

الباب الثامن والتسعون : في التبن والتباذين .

الباب التاسع والتسعون : في القرط والقراطين .

الباب المائة : في الأنماط وصناعتها .

الباب الحادي والمائة : في صناع الأخمرة والحرير والوقايا .

الباب الثاني والمائة : في الحصر الميداني .

الباب الثالث والمائة : في الخيزارانيين .

الباب الرابع والمائة : في اللبود واللبادين .

الباب الخامس والمائة : في الأرجوان وصناعته .

الباب السادس والمائة : في العطار .

الباب السابع والمائة : في الأبارين .

الباب الثامن والمائة : في الحلفاء وعدده ورسومه .

الباب التاسع والمائة : في المحامل و صناعها .

الباب العاشر والمائة : في الروايا والقرب .

الباب الحادي عشر والمائة : في الدباغين .

الباب الثاني عشر والمائة : في دباغين الكيمخت .

الباب الثالث عشر والمائة : في دباغ جلود البقر .

الباب الرابع عشر والمائة : في أهل الذمة .

الباب الخامس عشر والمائة : يشتمل على تفاصيل و جمل .

الباب السادس عشر والمائة : في ترتيب التعزير .

الباب السابع عشر والمائة : في مجالس الحكام .

الباب الثامن عشر والمائة : في مجالي الأمراء والولاة .

المطلب السابع
تقسيمات الكتاب بعد التحقيق

زيادة على ما تقدم من ذكر أبواب الكتاب كما هي مذكورة عند المؤلف مقدمة للمحقق لا تزيد عن سبع ورقات.

كما أن هناك ست عشرة ورقة للمقدم الكتاب وهو الأستاذ الدكتور: صالح بن أحمد العلي.

المطلب الثامن
القضايا البارزة التي اشتمل عليها الكتاب والتميز الذي يتميز به

الفرع الأول : القضايا البارزة في هذا الكتاب :

١ – افتتاح ابن بسام كتابه بالصلاة على النبي ثم بقوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنْ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ ﴾[1].

فأمر بذلك مع القدرة عليه والتمكن منه ، ومن الأمر بالمعروف أيضاً ، تصفح أحوال السرقة في معاملاتهم ، واعتبار موازينهم وغشهم ومراعاة ما تجري عليه أمورهم .

٢ – يبدو لنا مما ذكر أن المحتسب كان من أصحاب المناصب في الدولة الإسلامية ومن أعظمهم نفوذاً ممن كان لهم اتصال مباشر ومستمر بالجماهير فقد اتسعت سلطاته بحيث لم يبق كثير من مجالات الحياة العامة إلا وطال إشرافه لها لذلك اقتضى أن يكون المحتسب من أصحاب المعرفة التامة بالشريعة والدين وأن يكون نقي القلب ، عف اللسان ، تقياً صبوراً في الحق عارفاً لشؤون الصناع والتجار وطرق تدليسهم .

٣ – ذكر في الكتاب الشروط الواجب توافرها في المحتسب ، فقال :"

---

(١) الآية (٤١) من سورة الحج .

أعلم وفقك الله لما كانت الحسبة أمراً بالمعروف ونهياً عن منكر وإصلاح بين الناس ، وجب أن يكون المحتسب عارفاً بأحكام الشريعة ليعلم ما يأمر به وينهى عنه ، فإن الحسن ما حسنه الشرع والقبيح ما قبحه الشرع ولا مدخل للعقول في معرفة المعروفة والمنكر إلا بكتاب الله عز وجل وسنة نبيهم – ﷺ – ورب جاهل يستحسن بعقله ما قبحه الشرع فيرتكب المحظور وهو غير عالم به ، ولهذا المعنى كان طلب العلم فريضة على كل مسلم كما قال النبي ﷺ "[1] .

كما أنه ذكر أن على المحتسب أن يعمل بما يعلم ، ولا يكون قوله مخالفاً لفعله وأن يكون قصده خالصاً لوجه الله تعالى ويجتنب في رياسته منافسة الخلق ، ومفاخرة أبناء الجنس لينشر الله تعالي عليه رداء القبول . وينبغي على المحتسب أن يكون مواظباً على سنن رسول الله – ﷺ – ويكون شيمته الرفق في القول وطلاقة الوجه وسهولة الأخلاق ، عند أمره الناس ونهيه .

٤ – ذكر عقوبة من نقص الميكال ، أو بخس الميزان ، أو غش بضاعة وهي : استتابه عن معصية ، ووعظة وخوفه ، وحذره العقوبة والتعزير ، فإن عاد إلى فعله عزره على حسب ما يليق من التعزيز على قدر الجناية ، ولا يبلغ به الحد.

٥ – ذكر عدة المحتسب ، وهي التي كان يستعملها في إيقاع عقوبات

(١) انظر : نهاية الرتبه في طلب الحسبه ، ص : ١٠.

على المخالفين ، فهي " السوط " والدرة والطرطور ، وهي عدة رادعة لمن سول له نفسه الغش والتدليس أو الإ ضرار بالصالح العام من أي ناحية من النواحي .

٦ – للمحتسب غلماناً وأعوان يتقوى بهم على المخالفين ، كما قد يكون الشرطة من هؤلاء الأعوان .

٧ – العمل اليومي للمحتسب ، فعليه أن يتجول مراراً كل يوم في السوق وفي الأماكن الأخرى التي يباشر فيها اختصاصاتها الواسعة ، وأن لا يبقى وكان يقوم بهذه الجولات ماشياً أو راكباً محاطاً بأعوانه وغلمانه وقد جرت العادة أن يمشى بنفسه راكباً في الأسواق ، وأعوانه معه ، وميزانه الذي يزن به الخبز في يدي أحد الأعوان .

٨ – كان المحتسب يتفنن في إيجاد الوسائل والطرق التي تكفل كشف المدلسين والغشاشين من الصناع والتجار ، وكلما ازدادت حيطة هؤلاء وحذرهم أوجد المحتسب ما يقابل ذلك من وسائل الكشف والتحري .

٩ – على المحتسب أن يكون ملماً بجميع العلوم عارفاً لجميع الثقافات وخاصة عند احتساب على الأطباء والفصادين والمرضى والصيادلة لدقة هذه العلوم وصعوبتها وخطورتها في نفس الوقت .

الفرع الثاني : التميز الذي اشتمل عليه الكتاب :

١ – احتوى الكتاب على أكثر أبواب الحسبة ، والأمور الدقيقة التي

تطرق إليها إذ أنه احتوى على (١١٨) باباً في كل باب منها موضوع خاص يضاف إلى ذلك أن المؤلف كان محتسباً ، فأدخل الكثير من تجاربه في هذا الكتاب.

٢ – من الميزات المهمة التي امتاز بها الكتاب تصويره الحياة الاجتماعية في عصر المؤلف ، تصويراً دقيقاً ، خاصة الأمور المتعلقة بالأسواق ، والمبيعات والعادات والتقاليد ، وما ساد ذلك العصر من آراء وأفكار.

٣ – إفاضة مؤلفه في بيان ما ينبغي للمحتسب أن يتحلّى به من الصفات وما يقوم به من مراقبة السوق والأسواق.

٤ – تظهر أهمية هذا الكتاب كذلك فيما جاء به من ذكر ما كان يقوم به أصحاب الحرف والصناعات من أنواع الغش في مبيعاتهم ومعاملاتهم مما ينبئ ببعض أحوال التجارة والتجار في عصر المؤلف.

٥ – اشتمال الكتاب على كثير من الألفاظ العربية الفصيحة والمولّده الصحيحة[١].

٦ – احتوى هذا الكتاب كثيراً من الأخبار الطريفة مثل أخبار قلائي السمك وحيل الجرائحيه والكحّالين.

٧ – المزيه الكبرى لهذا الكتاب هي ما فيه من أخبار عن حقيقة النظام الإسلامية وخصائص المجتمع الإسلامي.

---

(١) انظر : تقسيمات التي عرضت في المطلب السادس من هذا البحث.

فهذا منصب الحسبة – وهو منصب قام به صرقياماً متّصلاً منذ العصور الوسطى إلى زمن محمد علي الكبير – قد هيمن متولّيه على أكثر من أربعين ناحيه من نواحي الحياة اليومية ، بحيث شملت ولايته أن يتردّد إلى مجالس القضاة والحكام ، ويمنعهم من الجلوس في الجامع والمسجد للحكم بين الناس ، وهذا واضح في الباب السابع عشر والمائة ، وأن يقصد مجالس الأمراء والولاة ويأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويعظهم ويذكرهم ويأمرهم بالشفقة على الرعية ، وذلك في الباب الثامن عشر والمائة .

فضلاً عن مراقبة الخبازين والأسكفة والأطباء ، وحتى السقائين والغسالين .

٨ – التأكيد على المبادئ الأخلاقية التي ينبغي أن تتحكم في سلوك الفرد وتصرفاته وعلاقته بالناس .

المطلب التاسع
التقويم العلمي للكتاب

١ – يعد هذا الكتاب من أوسع كتب الحسبة في عدد أبوابه والأمور الدقيقة التي تطرق إليها إذا احتوى على (١١٨) باباً .

٢ – لقد اعتمد " ابن بسام " كثيراً على كتاب عبدالرحمن الشيزري ويبدو أن ابن بسام كان معجباً بكتاب الشيرزي إلى حد أنه أطلق على كتابه عنوان كتاب الشيرزي نفسه ، ونقل مقدمته كذلك . ويذهب الأستاذ السيد الباز العريني محقق كتاب الشيزري إلى " أن ابن بسام " أخذ تأليف الشيزري فنسبه إلى نفسه عنواناً ومتناً ، بعد أن أضاف إليه أبواباً متعددة ، مما جعلها تبلغ أربعة عشر ومائة باب ، على حين أن كتاب الشيرزي في أربعين باباً فقط "[1] . على أن الذي يبدو للباحثة أن هذا القول مبالغ فيه لأن هدف ابن بسام من تأليف الكتاب نشر العلم وإظهار الفضيلة و محاربة الجهل كما أن هذا المنهج سار عليه كثير من العلماء المتقدمين ولم ينفرد به ابن بسام فقط فبالرغم من اتفاق الكثير من أبواب كتاب ابن بسام مع كل كتاب الشيزري وابن الأخوة ، ومن ثم

(١) انظر : مقدمة نهاية الرتبة في طلب الحسبة ، ص : ح ، للشيرزي ، وانظر كذلك المقدمة التي كتبها الأستاذ زوبن ليبي لكتابه ، معالم القربة في أحكام الحسبة ، لابن الأخوة القرشي .

فإن الأبواب الأخرى التي نقلها ابن بسام من الشيزري ، لم ينقلها كما هي ، فهو ما اختصرها أو أخذ منها شيئاً ، وفي كثير من الأحيان يضيف معلومات لا نجدها في كتاب الشيزري ، ومن المحتمل أن هذه الإضافات متأتيه من خبراته وتجاربه التي أكتسبها من اشتغاله لمنصب الحسبة يضاف إلى ذلك أن ابن بسام يختلف كثير من الأحيان عن الشيزري في طريقة عرض المادة ، فهو قاما يمزج صنفين في باب واحد كما فعل الشيرزي في كتابه نبل افرد دائماً بكل صنف ، أو عمل باباً خاصاً به قائماً بذاته .

٣ – أن الحسبة في عصر المؤلف وهو " عصر المماليك " تطورت إذ شملت جميع المجالات تقريباً الدينية والاقتصادية والاجتماعية والصحية ، فقد كان المحتسب في القاهرة له شأن وقدر[١] بحيث أمكن له الجمع بين كثير من جهات الضبط والربط والإدارة في يد واحدة فقد استطاع المحتسب أن يسيطر في اليوم الواحد – بمساعدة عيونه وغلمانه وأعوانه – على ما تقوم به عدة إدارات في العصر الحاضر .

٤ – الشمولية التي كانت تتصف بها الحسبة في ذلك الوقت على عكس وقتنا الحاضر إذا تقلصت الشمولية واذصبت في الرئاسة

(١) انظر : صبح الأعشى في صناعة الإنشاء (٤١١/١) ، أحمد بن علي القلقشندي ، تحقيق محمد شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٤٠٧هـ .

العامة لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

٥ – بعض أبواب الكتاب المحتسب عليها لم تعد موجودة الآن أو لا يقام بالاحتساب عليها مثل : الباب السابع عشر والمائة : في مجالس الحكام ، والباب الثامن عشر والمائة : في مجالس الأمراء والولاء .

٦ – أن هذا الكتاب لم يخدم الخدمة العلمية الكافية فلا يوجد من هذا الكتاب إلا طبعة واحدة تحقيق حسام الدين السامرائي ، والمحقق لم يُعرف كثير من الكلمات الواردة في هذا الكتاب مما صعب على الباحثة فهم كثير من مصطلحاته وما يقصده المؤلف إلا بعد الرجوع إلى معاجم اللغة .

٧ – أسهب في شرح غشوش العقاقير ووصف فروع الطب المختلفة مما يدل على ثقافة ابن بسام الواسعة أو كل محتسب في ذلك الوقت يقول في كتابه :" وينبغي للطبيب أن يكون عنده جميع آلات الطب والكحال .." وذكر تفصيلاً لهذه الآلات من أدوات الأسنان ثم قال للمحتسب أن يمتحن الأطباء بما ذكره حنين بن إسحاق في كتابه المعروف " محنة الطب " .

٨ – لابد من الإشارة إلى أن هذا الكتاب قد أفرد شرطاً لمزاولة الطب ضمن شروطها العديدة إلا وهو العلم بأعضاء الأسنان ، واتفق معه ابن " الأخوة " ، فقد ذكر ابن بسام أن الطبيب هو العارف بتركيب البدن ومزاج الأعضاء وأوجب المحتسب على الفصادين

والحجامين ألا يتصدى للفصد إلا من اشتهرت معرفته بتشريح الأعضاء والعروق والعضل والشرايين وأحاط بمعرفتها وتركيبها وكيفيتها لئلا يقع المبضع في عرق غير مقصود أو في عضلة أو شريان فيؤدي إلى الضرر وهلاك المفصود .

٩ – الحسبة وعلاقتها بالرقابة الطبية وبالحفاظ على البيئة من التلوث في وقتنا الحاضر : لما كانت النظافة والبيئة شيئين جوهريين في مسألة الوقائة الصحية وشرطين أساسيين للقيام بالعادات بالنسبة للمسلمين كان ذلك دافعاً قوياً للحفاظ على أن يكون الفرد نظيفاً في كل شيء والمدينة نظيفة ومحمية من التلوث والأوساخ وبغية تحقيق ذلك أنشأ نظام الحسبه ، حيث تكفل هذا النظام بالإشراف على المؤسسات العامة ومن جملتها المؤسسات التي تقدم خدمات صحية ، وقد اقتضى هذا النظام تعيين عريف"أي موظف مسؤول" لكل صنعة وأن يكون ذلك العريف ثقة يتحلى بالأمانة وبالدقة والخبرة في صنعته بصيراً في معرفة الغش والتدليس وسيطاً بينهم وبين المحتسب ويظهر هذا واضحاً في الأبواب المذكورة في كتاب " الرتبة في طلب الحسبه" لابن بسام من ذلك :

أ – الباب (٥٤) في المساجد : وذلك من خلال تنظيفها يومياً من قبل العاملين بها وبخاصة يوم الجمعة والأسواق والطرق : فيلزمهم المحتسب بالحفاظ على نظافتها وكنسها من الأوساخ والطين وتحذيرهم من خروج المجاري الخارجية إلى وسط الطريق وإلزام أصحابها بحفر داخل الدار لتجمع المياه

الوسخة.

ب – محلات الأطعمة[1] : فقد أوجب المحتسب على الخباز ألا يعجن العجين بقدميه ولا ركبتيه ولا بمرفقيه ، خشيه وقوع شيء من عرق بدنه بالعجين ، ولابد من لباس خاص مثلاً أن يكون ملثماً وعلى جبينه عصابة ويزيل شعر ذراعية إذ ربما يسقط منه في العجين .

كما ألزموا أصحاب محلات الأكل بتنظيف آلاتهم بالماء الحار والأشنان يومياً كما ألزموا بتغطية أواني الطبخ حفظاً لها من الذباب وهوام الأرض فضلاً عن ضرورة نظافة الحوانيت إذ غالباً ما يتفقد المحتسب حوانيتهم غفله للاطلاع على مستوى النظافة وملاحظة المخالفات العلمية .

جـ – الباب (٢٠) في الحمامات وكر منافعها ومضارها :

يلزمهم المحتسب بالحفاظ على نظافة الماء من خلال تنظيف حوض النوبه من الأوساخ المجتمعة ، فضلاً عن تنظيف الفساقي والقدور من الأوساخ شهرياً ومنع ذوي الأمراض الجلدية كالمجذوم والأبرص من دخول الحمامات .

١٠– الحسبة وعلاقتها بعالم الغذاء والتغذية في وقتنا الحاضر :

فكان من مهام المحتسب مراقبة الأغذية وجودتها وأسعارها والضرائب عليها ونظافتها .

ويظهر ذلك في الأبواب التالية الموجودة في الكتاب :

---

(١) انظر الأبواب (٦ ، ٨ ، ١١ ، ١٥ ، ١٩، ٢٠) .

الباب السادس في جزارين الضأن والمعز والأبل والقصابين وغشهم .

الباب السابع : في الشوائين .

الباب الثامن : في الهراسين .

الباب الحادي عشر : في الطباخين وغشهم .

الباب الثاني عشر : في الحلوانين وغشهم .

الباب الثالث عشر : في هرايس التمر ومطبوخ العدس[1] .

١١ – يُعد هذا الكتاب موسوعة لجميع العلوم وجميع المؤلفين سواء كان بعد عصر ابن بسام أو ما كان في عصرنا الحاضر .

(١) لمن أراد الاستزادة الرجوع إلى الكتاب " نهاية الرتبة في طلب الحسبة " فهو كتاب لا يستغنى عنه طالب العلم ولا الباحث عن الحق .

الخاتمة

الحمد لله – تبارك وتعالى – حمداً يليق بعظمته ، وعظيم مَنّه وكرمه أحمده وأشكره أن فتح لي باب من العلم العظيم ، وأصلي وأسلم على من بعث رحمة للعالمين ، نبينا محمد وعلى آله وصحبه الهداه المهتدي ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، أما بعد :

فإن هذا البحث تركز على دراسة كتاب " نهاية الرتبة في طلب الحسبة ، وقد خرجت الباحثة بعدة نتائج وتوصيات ، وهي كما يلي :

أولاً : النتـــائج :

١ – اهتمام المتقدمين بأمور الحسبة وتأليف المصنفات لذلك .

٢ – أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر له الأثر الكبير في استتباب الأمن فهو صمام الأمان للمجتمع وسفينة النجاة في الدنيا والآخرة .

٣ – قوة المحتسب وكثرة صلاحياته في ذلك الوقت .

٤ – الدقة والتدقيق في عمل المحتسب أثناء قيامه بكشف الغش والتدليس في الأطعمة والبضائع الأخرى .

٥ – أن الضابط في أمور الحسبة هو الشرع المطهر ، فكل ما نهت عنه الشريعة وجب على المحتسب إزالته والمنع منه ، وما أباحته الشريعة أقره على ما هو عليه لذلك وجب على المحتسب أن

يكون فقهياً عالماً بأحكام الشريعة .

ثانياً : التوصيات :

١ – توصي الباحثة بالاهتمام بالكتب النادرة ونشرها حتى يستفيد منها طلاب العلم وغيرهم .

٢ – توصي الباحثة أن يخدم هذا الكتاب الخدمة العلمية التي تتيح الفرصة للاستفادة منه .

٣ – توصي الباحثة بإعادة مفهوم الحسبة إلى أذان الناس وأنها غير مقتصرة لرئاسة الهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فإذا ظهر المنكر وجب الإنكار حتى تستقيم الحياة وتتحقق مصالح الأمة ودفع الأضرار عنها .

وآخر دعونا أن الحمد لله رب العالمين .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد ..

المراجـــع

- القرآن الكريم .
- الأعلام ، للخير الدين الزركلي ، دار العلم للملايين بيروت ، الطبعة السادسة ، ١٩٨٤م .
- أنيس الجليس في تاريخ تنيس ، محمد بن أحمد بن بسام المحتسب ، تحقيق د. جمال الدين الشتيل ، م كتبة الثقافة الدينية ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٠هـ .
- بدائع الزهور في دقائق الدهور، محمد بن أحمد بن إياس ، طبعة بولاق سنة ١٣١١هـ
- جمع الأعشى في صناعة الإنشاء ، أحمد بن علي القلقشندي ، تحقيق محمد شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٧هـ .
- الحسبة في الإسلام ، إبراهيم الدسوقي ، (د. ت. ط) .
- الحسبه بين الماضي والحاضر ، د. علي بن حسن القريني ، م كتب الرشد ، ط٢ ، ١٤٢٧هـ
- الخطط ، للمقرزي .
- سنن أبي داود ، تصنيف أبي داود بن الأشعث السجستاني .
- سنن ابن ماجة ، تصنيف أبي عبدالله محمد القزويني .
- سنن الترمذي ، للإمام الحافظ محمد بن عيسى بن سورة .
- سنن النسائي ، تصنيف أبي عبدالرحمن بن أحمد بن شعيث بن علي ، حكم على أحاديثها وعلق عليها العلامة الشيخ محمد بن ناصر الدين الألباني ، اعتنى بها أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان ، م كتبة المعارف للنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى .
- لسان العرب لأبي الفضل جمال الدين محمد بن منظور ،دار لجيل ،بيروت ، ١٤٠٨هـ .
- المؤسسات الإدارية في الدولة العباسية ، د. حسام الدين السامرائي ، قدم له د. عبدالعزيز الدوري ، دار الفكر العربي ، م كة ، الطبعة الثانية ،

١٤٠٣هـ .

- معالم القربة في أحكام الحسبة ، لابن الأخوة ، دار الحداثة ، الطبعة الأولى ١٩٩٠م .
- معجم المؤلفين ، لرضا كحاله ، طبعة دار إحياء (د. ط. ت) .
- الموسوعة الميسرة في التاريخ الإسلامي ، إعداد فريق البحوث الإسلامية ، تقديم د. راغب السرحاني ، مؤسسة اقرأ ، الطبعة الأولى ، ١٤١٦هـ .
- نهاية الرتبة في طلب الحسبة ، أحمد محمد ابن بسام ، تحقيق حسام الدين السامرائي ، مطبعة المعارف ، ١٩٦٨م .
- نهاية الرتبة في طلب الحسبه ، عبدالرحمن بن نصر الشيزري ، تحقيق ومراجعة د. السيد الباز العريني ، دار الثقافة ، بيروت الطبعة الثانية ، ١٤٠١هـ .
- هداية العارفين ، للبغدادي .

فهرس الموضوعات

الموضـــــــوع	رقم الصفحة
المقدمة	١٥
المطلب الأول : تعريف المصنف وعرض موجز لعصره .	١٩
المطلب الثاني : التعريف بالمحقق .	٢٧
المطلب الثالث : الخدمة العلمية للكتاب .	٢٩
المطلب الرابع : التعريف بالطبعة المختارة للدراسة .	٣٠
المطلب الخامس : المدرسة الفقهية للمؤلف ومنهجه العلمي .	٣٢
المطلب السادس : تقسيمات الكتاب عند المؤلف .	٣٤
المطلب السابع : تقسيمات الكتاب بعد التحقيق .	٤١
المطلب الثامن : القضايا البارزة في هذا الكتاب والتميز الذي تميز به .	٤٢
المطلب التاسع : التقويم العلمي للكتاب .	٤٧
الخاتمة	٥٣
فهرس المصادر والمراجع	٥٥
فهرس الموضوعات	٥٧